

مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية دراسة في المظاهر والأسباب
- علم التجويد نموذجا -

The terminological problem in Islamic sciences
A study of appearances and causes -
The science of reciting the Qur'an as a model -

د. فتحي بودفلة*

جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، مخبر الشريعة، خروبة (الجزائر)
f.boudefla@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/04 تاريخ القبول: 2022/09/10 تاريخ النشر: 2022/09/30

ملخص:

يحاول الباحث من خلال هذا المقال الوقوف على مشكلة المصطلح في خصوص علم التجويد، يتتبع بعض تجلياته ويستقرئ شيئا من مظاهره، يدرسها ويحللها، ليستنتج الأسباب التي تقف وراء المشكلة، ويخلص في نهاية المقال إلى تقديم مقاربة منهجية من شأنها أن تحل هذه المشكلة أو تقلص من تداعياتها السلبية على الأقل.

الكلمات المفتاحية: مشكلة المصطلح؛ مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية؛ المصطلح في التجويد.

Abstract:

Through this article, the researcher attempts to identify the problem of terminology in the science of recitation of the Holy Quran, traces some of its manifestations and extrapolates them, studies them and analyzes them, to deduce the reasons for the problem. and tries to conclude at the end of the article and present a systematic approach to solving this problem.

Keywords: recitation of the Holy Quran; terminology; Terminology of recitation of quran.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

قديمًا سُمي محمد بن أحمد الخوارزمي (387هـ)¹ المصطلحات "بمفاتيح العلوم" لأنّ فقه أيّ علم وإتقانه متوقف على ضبط هذه المصطلحات ومعرفة مفاهيمها والمراد منها، كما سماها "أوائل الصنائع"² لأنّها بمثابة المقدمات الضرورية لاستيعاب أيّ صناعة أو فنّ، ولا يمكننا بحال من الأحوال ولوج علم أو فهم عالمٍ إلّا إذا تعرفنا ابتداءً على مصطلحاته. والدراسات المصطلحية المعاصرة اليوم ترتقي بأهمية المصطلح إلى اعتباره مكتنز العلوم ومعتصرها؛ لأنّه يحوي في طياته مباحث كلّ علم ومسائله، بل قد يصل الأمر إلى اعتبار مجموع مصطلحات العلم العلم نفسه؛ إذ حقيقة العلوم أنّها مجموعةٌ من المصطلحات يربط بينها نسقٌ معرفيٌّ معيّن³.

وإذا كانت أهمية المصطلح وخطورته تصل إلى درجة اعتباره عين العلم ولبّه. فإنّ أيّ إشكال يطرأ على المصطلح سواء من حيث تحديده وإدراكه، أو من حيث تعريفه وبيان مفهومه، أو من حيث ترتيبه وتصنيفه... فإنّ الإشكال سيقع على العلم ذاته، من حيث تحديد حقله المعرفي وتمييزه عن باقي الفنون والعلوم، فضلاً عن تعليمه ونقله أو فهمه واستيعابه⁴.

والمتتبع لمختلف العلوم في ظل النظريات الكلاسيكية لمنهجية المعرفة وعلى رأسها المنهج الديكارتي⁵ - والذي هو صورة مطوّرة للمناهج اليونانية ومشوّمة للمناهج الإسلامية- سيلاحظ فقامة وضخامة مشكل المصطلح في مختلف هذه العلوم، من حيث تداخلها إن لم نقل تضاربها وتعارضها، ومن حيث سوء فهمها إن لم نقل سوء توظيفها واستعمالها...

¹ محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله البلخي الخوارزمي من أهل خراسان، مؤلف كتاب (مفاتيح العلوم) ألفه وأهداه للوزير الغثي (عبيد الله بن أحمد). قال الزركلي: "وبعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب، على الطريقة الموسوعية (Encyclopedique)". اه توفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة. أعلام الزركلي 5\312-313.

² مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (387هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي بيروت ط2. 1989م ص13.

³ انظر: الدراسة المصطلحية لدى الشاهد البوشيخي: المفهوم والمنهج، الأستاذ الطيب رحمان. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية. المجلد 4 العدد 2 السنة 2013م من الصفحة 186 إلى الصفحة 196.

⁴ بل الأمر أعظم من ذلك في نظر الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي رائد الدراسات المصطلحية ببلاد المغرب؛ إذ مشكلة المصطلح تتعلق بذات الأمة هويتها، وجودها، ومصيرها. انظر: نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الشاهد البوشيخي. أنفو برانت فاس (د.ت).

⁵ القائم أساساً على مبادئ: الشك، التفرع، التعليل، والاستقراء. ومبدأ التفرع هو أحد أهم أسباب مشكلة المصطلح كما سيأتي بيانه.

_____ مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية دراسة في المظاهر والأسباب -علم التجويد نموذجا

وليس علم التجويد بدعا من العلوم حتى ينجو وحده، ويسلم دون سواه، من هذه المشكلة التي أصابت العلوم كلّها، خاصة وأنه يعتمد فلسفة المعرفة ومناهج البحث ذاتها التي تعتمد عليها وتستعملها باقي الفنون والعلوم.

يحاول الباحث من خلال هذا المقال الوقوف على مشكلة المصطلح في خصوص علم التجويد، يتتبع بعض تجلياته ويستقرئ شيئا من مظاهره، يدرسها ويحلّلها، ليستنتج الأسباب التي تقف وراء المشكلة، ويخلص في نهاية المقال إلى تقديم مقارنة منهجية من شأنها أن تحل هذه المشكلة أو تقلّص من تداعياتها السلبية على الأقل.

وقد انتظم المقال في مقدمة للتعريف بأهمية المصطلح، وخطورته، وبإشكاليات المقال ومنهجيته وخطته... وخاتمة لعرض حلول مقترحة لإشكالية المصطلح في علم التجويد، يتوسطهما مطلبان، أولهما لتتبع مظاهر مشكلة المصطلح في علم التجويد، وثانيهما للبحث في أسبابها.

1. مظاهر مشكلة المصطلح في علم التجويد:

مشكلة المصطلح في علم التجويد عميقة ومتشعبة؛ فهي مشكلة على مستوى المصطلح ذاته، وعلى مستوى مفهوم المصطلح، وعلى مستوى تعريف المصطلح. فهي بذلك تشمل جميع تجليات المصطلح: اللفظي، والذهني، والدلالي واللغوي.

1.1 مصطلح التجويد:

ولعلَّ أوَّل مثال أقدمه اسم علم التجويد ذاته، وعلمه الذي اشتهر به (التجويد)، فقد نوزعت هذه التسمية بتسميات أخرى قديما بعلم مخارج الحروف¹ والتحسين والإتقان² والتحقيق³ وحديثا ظهر هذا التنافس في التسمية جليا بانتشار مصطلح الترتيل⁴ على أنه اسم علم لهذه الصناعة الخاصة⁵... هذا على المستوى اللفظي للمصطلح أما على مستواه الذهني أي مفهومه، فإنَّ المشكلة أكبر؛ إذ كثيرا ما يختلط مفهوم التجويد عند بعض المختصين فضلا عن عموم الناس بعلم القراءة، والمتأمل في تعريف العلمين وفي تحديد مباحثهما سيلاحظ جليا الفرق بينهما؛ فإذا كانت القراءة "هي مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى [معزوة إلى ناقلها]"⁶ فإنَّ التجويد "علم يبحث في الكلمات القرآنية من حيث إعطاء الحروف حقها"⁷

¹ الفهرست، أبو الفرج محمد بن النديم (438هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان. دار المعرفة، بيروت، ط. 2، 1417هـ- 1997م. ص 52. كما ورد هذا الاصطلاح في الكتابات الأوليالي تناولت علم التجويد دون تمييزه عن غيره من العلوم أو تناولت بعض مباحثه عند علماء العربية والقراءات على وجه الخصوص.

² الاصطلاحين وردا في نظم أبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى البغدادي الخاقاني (325هـ). تحقيق غانم قدوري الحمد. نشرت ضمن بحث (علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى) في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، ع. 6، 1400هـ 1980م. وقد استعمل الداني اصطلاح الإتقان في كتابه الذي خصّه للتجويد (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو الداني (444هـ) تحقيق: غانم قدوري الحمد. دار عمار عمان الأردن.

³ وردت تسمية (التحقيق) في عنوان كتاب ابن أبي طالب مكي (437هـ) الذي خصّصه لعلم التجويد (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) تحقيق د. أحمد فرحات. دار عمار الأردن.

⁴ وإذا كانت المصطلحات القديمة تنوعت وتغيّرت بفعل التطوّر التاريخي للعلم - وهذا أمر لا يضر - فإنَّ التسميات والمصطلحات الحديثة وعلى رأسها مصطلح الترتيل منازعته لمسي ومفهوم مصطلح التجويد منازعة حقيقية.

5 انظر على سبيل المثال لا الحصر:

- فنّ الترتيل وعلومه، لأحمد الطويل. مجمع الملك فهد بالاشتراك مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. 1، 1999م.
- قواعد الترتيل الميسرة، لفتحي أحمد الخولي. دار الطباعة الحديثة 1987م.
- أحكام التنزيل ومعرفة الترتيل، دار الأمان 1993م.
- فنّ الترتيل وأحكام التجويد، عبد الله إبراهيم الصباغ. القاهرة 1960م.

⁶ النظر في تعريف القراءات لغة واصطلاحاً بحث في التفسير وعلوم القرآن. الأستاذ محمد مصباح الدبرني. Al-Madinah Readings Science | مجلة جامعة المدينة العالمية لعلم القراءات-مصر، المجلد 1 (العدد 23).

⁷ المقصود بالحق في علم التجويد صفات الحرف التي تلزمه في كلّ أحواله، أمّا مستحقه فهو ما يعرض له بسبب المجاورة أو الابتداء أو الوقف أو غيرها من عوارض القراءة...

_____ مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية دراسة في المظاهر والأسباب -علم التجويد نموذجاً ومستحقاً¹؛ وبالتالي ينبغي التنبيه إلى أنّ بعض أهل الفضل حين ينسبون أحكام التجويد لأصحاب القراءات والروايات والطرق قد جانبوا الصواب من هذه الحيثية.²

ويختلط مفهوم التجويد عند كثير من طلبة العلم بأسلوب التحقيق في القراءة.³ كما يختلط مفهوم التجويد عند العوام بمفهوم فنّ التغني بالقرآن الكريم، فالقراءة المجودة عندهم هي ما كان التغني فيها ظاهراً، أمّا إن أحسن القارئ وأجاد في أداء أصوات القرآن الكريم بتحقيق المخارج والصفات لازمها وعارضها، ولكن في طبيعة صوته خشونة أو بحة، أو لا يحسن التنغيم والترجيع، فلا يعدّ ذلك عندهم تجويداً؛ لانعدام الطرب وخفاء التغني. فهذا كلّه من التباس مفهوم التجويد وامتزاجه بغيره من المفاهيم.

وعلى المستوى اللغوي ونقصد به التعريف أي الصياغة اللغوية التي تربط بين المصطلح وكلفظ وبين مفهومه كتصور ذهني مجرد، فإنّ المشكلة ستزداد وتتفاقم إذا علمنا أنّه وبعد مرور ما يقارب إحدى عشر قرناً على استقلال هذا العلم وبداية التدوين فيه، لا تكاد تجد مصدرين متفقين على تعريف واحد للتجويد.⁴

وإذا تجاوزنا مسعى العلم، وانتقلنا إلى اصطلاحات ومسميات مسأله ومباحثه، سنلاحظ أنّ جلّ هذه المصطلحات مختلف ومتنازع فيها، سواء على مستوى اللفظ والتسمية أو على مستوى مفهومها أو تعريفها... كالإمالة والتسهيل والإضجاع والبطح والترقيق....، وكالتغليظ والتفخيم والفتح....، وكالإخفاء والتخفيف والروم والاختلاس....، وكالمواضع والأصول والمخارج... وغيرها ممّا يجده المستقرئ لمصادر ومراجع هذا العلم القديمة والحديثة.

وسنكتفي في هذا المقال بنماذج مختارة من أجل بيان تنوع هذه المشكلة وتشعبها مع التركيز على تأثيرها العملي والتطبيقي في أحكام تجويد كلام الله عزّ وجلّ.

¹ الشيخ محمود علي بسّة، العميد في علم التجويد، بتعليق وتحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة مصر 1425هـ 2004م. ص7، وهو التعريف الذي اختاره صاحب هذا المقال في بحثه (محاولة ضبط تعريف التجويد وحدّه) 1431هـ - 2010م.

² انظر على سبيل المثال:

- التبيان في التجويد من طريقي الشاطبية والطبعية، خالد الشويحي. دار الصحابة طنطا (د ت)
 - حفص الكبير، المستوى الرفيع في التجويد، الشيخ أبو الخير. دار الصحابة طنطا (د ت)
 - أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، عاشور خضراوي. مكتبة الرضوان مصر 2005م.
 - مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق، أبو محمد عبد الكريم مقيدش. مكتبة القراء قسنطينة 2008م.
- ³ أكثر ما تجد هذا الخطأ عند الإعلاميين والتجار فيسمون قراءة عبد الباسط عبد الصمد بالتحقيق تجويداً ويسمون قراءة الحصري والحذيفي... بالتدوير ترتيلاً.

⁴ انظر: محاولة تعريف التجويد وضبطه، لصاحب هذا المقال.

2.1 مصطلح القصر:

وهو نموذج يمثل مشكلة تعدّد المفاهيم للمصطلح الواحد، فالقصر مصطلح يستعمل في أبواب عدّة للدلالة على أحكام شتى، فهو يطلق في باب المدّ للدلالة على ما يقابل الزيادة، كما يطلق في الباب نفسه على ما يفيد مقدارا معيّنا من المطّ¹، ويطلق في باب اللين للدلالة على ترك الزيادة، ويطلق في باب هاء الضمير للدلالة على التحريك وترك الصلة، وفي باب الهمز على التسهيل دون مدّ... وإذا كانت ظاهرة تعدد مفاهيم المصطلح الواحد بتعدد وتنوع الحقول المعرفية التي تتناوله ظاهرة طبيعية²؛ فإنّ هذا التعدّد والتنوع في العلم الواحد يعد عيبا لما فيه من التلبس أو على الأقلّ من التعقيد على المشتغل بهذا العلم.

وقد نتج عن هذا اللبس في اصطلاح القصر أن نقل كثير من المتأخرين مفهومه من باب إلى باب آخر فقط لأجل كون المصطلح والمسمى واحد، دون مراعاة كون المفهوم يختلف باختلاف الحكم، فقد ذهبوا إلى كون مفهوم القصر في اللين هو ذات المفهوم الذي يطلق في باب المدّ، ويُقصّد به مقدار المطّ المخصوص والمعروف بالمدّ الطبيعي أو الأصلي أو المقدّر بحركتين³ وهو حكم - على الراجح - مجانب للصواب سببه هذا التداخل واللبس المصطلحي.

3.1 مصطلحا الهمس والجهر:

لم يزل علماء العربية والتجويد يُعرّفون الهمس بجريان النفس مع حروف مخصوصة والجهر بانحباسه، وبقوة وضعف الاعتماد على المخرج⁴، وبقي الأمر على ذلك إلى أن برزت مشاركات علماء الأصوات واللسانيات الحديثة في مسائل علم التجويد فعلقوا هاتين الصفتين بالأوتار الصوتية فالجهر عندهم يعرف باهتزاز الأوتار الصوتية والهمس بعدم اهتزازها⁵، وخطأوا جموع من تقدمهم بحجة عدم قدرتهم على ملاحظة هذه الحقيقة⁶؛ فغيّروا مفهوم المصطلح ابتداء ثمّ غيروا أحكامه العملية بإيقاع تغيير في حروف الصفتين بناء على اهتزاز الأوتار الصوتية لا جريان النفس⁷.

¹ وهو أقلّ مقادير المدّ، ويسمى بالمدّ الطبيعي والأصلي.

² ومن أمثلة هذه الظاهرة في العلوم الشرعية مصطلح (السنة) في الفقه وأصوله والحديث والسيرة... ومثله مصطلح (الحق) في مختلف العلوم الإنسانية والقانونية...

³ انظر بحث لصاحب هذا المقال بعنوان: (قصر اللين بين الجبس وترك المطّ أو الزيادة حركتين في المدّ) 1431 هـ 2010 م.

⁴ الكتاب، سيبويه 434\4. المقتضب، المبرد 194\1. سر صناعة الإعراب، ابن جني 77-75\1. الرعاية، مكي بن أبي طالب 36-37، التمهيد، ابن الجوزي 30-31.

⁵ المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيات)، محمد التنوخي 253\1. علم اللغة العام، كمال بشر 88...

⁶ علم اللغة العام، كمال بشر 88. أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، أحمد قدور 146.

⁷ قراءة في الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين، خالد بسندي. مجلة الدراسات العليا كلية، دار العلوم، مصر. ع. 10، يونيو 2004 م ص 297-325. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر المعاصر: بيروت، دار الفكر: دمشق، ط. 1998. ص 89-111.

وأقلّ ما يقال على هذه الإشكالية أنّها قلبٌ للإجراءات والقواعد المصطلحية، فالأصل أن اشتراك طائفة خاصة من الناس في مفهوم معيّن هو الذي يدفعهم إلى التواضع والاتفاق على مصطلح يثير في ذهن هذا المفهوم بمجرد ذكره، لكن ما صنعه علماء اللسانيات عكس ذلك فإنّهم بدؤوا بالمصطلح فحدّده وهو (الجهر والهمس) ثمّ أتوا إلى مفهوم معاصر لم يطرأ على بال من وضع المصطلح¹، وحملوا المصطلح هذا المفهوم الجديد.

وكان الأجدر بهم – علمياً وموضوعياً – أن يتعارفوا ويتواضعوا على مصطلح جديد لهذا المفهوم الجديد، فلا يقع هذا التداخل، بل هذا التضارب بين القديم والجديد.

وممّا يؤيّد هذا الطرح أنّ أصل هذا المفهوم وُجد ابتداءً في غير اللغة العربية وقُصدت به أصوات غير أصوات اللغة العربية، كما أنّ التأمل في الأصل الذي نقل منه علماء اللسانيات العرب هذا المفهوم يؤكّد المغايرة والتميّز بين الاصطلاح العربي والغربي؛ فالاصطلاح الأصلي هو Voiceless and Voiced Sound بالإنجليزية أو son Voisé et Non voisé أو son Sonore et Sourd بالفرنسية، ولأنّ العلاقة بين المصطلح ودلالته اللغوية تكون في الغالب الأعم مقصودة؛ فإنّ من أهمّ ما تدل عليه هذه الكلمات في لغاتها الأصلية: قوة الصوت، ظهوره وبيانه، صدى الصوت، تردد الصوت.. هذا على المستوى اللفظي للمصطلح وهي كما ترى لا يلزم منها بالضرورة معنى الجهر والهمس، أمّا على مستواه الذهني فإنّ مفهومه عند علماء الغرب تغيب عنه تماماً مسألة جريان النفس وانحباسه، ومسألة قوة وضعف الاعتماد على المخرج، بل كلّ ما ذكره متعلق بالأوتار الصوتية، والصدى المتولد عن اهتزازها، هذا مع ملاحظة كون الاصطلاح الغربي يتناول دراسة الصوت قبل الاعتماد على المخارج أي أعضاء وآليات التصويت الظاهرة²، بينما علماء التجويد يدرسون هذه الحروف عند نقطة الاعتماد على أعضاء التصويت لا قبلها³.

¹ وقد حاول إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية ص123-124 تقرير كون علماء التجويد والعربية قصدوا بصفتي الجهر والهمس ما قصده علماء اللسانيات مستدلاً بتوافقهم في حروف (أصوات) الصفتين، ويذكر القدماء اصطلاح (صوت الصدر) مشيرين إلى ما تحدّته الأوتار الصوتية. والحق أنّ هذا التقرير بعيد لاختلاف المدرستين في تحديد حروف الجهر والهمس أولاً ولكون مفهوم اصطلاح (صوت الصدر) إنما يقصد به علماء العربية والتجويد التفريق بين الحرف والصوت باعتبار الصوت مرحلة متقدمة للحرف يشترك فيها الإنسان وغيره، والحرف يغاير عندهم الصوت باعتماده على مخرج محقّق يعطيه شخصيته المتميّزة...

² المقصود بالظاهرة أو الخارجية، الحلق وما بعده... إلى الشفتين.

³ Linguistique cognitive: Comprendre comment fonctionne le langage. Nicole Delbecq 2006. Assimilation phonologique et reconnaissance des mots. Isabelle Darcy 2006.

4.1 مصطلح الإخفاء الشفوي:

من المسائل الحديثة التي أثّرت في علم التجويد، مسألة ترك فرجة بين الشفتين عند التلفظ بالميم المخفأة أمام الباء، وقد يستغرب البعض إيراد هذه المسألة في بحث متعلق بالمصطلح؛ ولكن المتأمل في أسبابها وتجلياتها سيلاحظ أنّها مسألة مصطلحية بامتياز.

فإنّ مصطلح الإخفاء الشفوي أوّل ما أطلق قُصِد به مفهوم خاص يقابل مفهومي الإظهار والإدغام، وقد اضطربت عبارات علماء العربية والتجويد في التعبير عن هذا المفهوم في أوّل الأمر، لأنّ المصطلح لم يكن قد تحدّد واعتُمد بعد فسمي بالإدغام، والإخفاء، والإدغام الناقص، والإبدال، والتخفيف، وإخفاء الحركة، واختلاس الحركة، وتضعيف الصوت...¹ وقد لاحظ العلماء هذا الاضطراب المصطلحي ما جعلهم ينهون عليه أوّلاً، ويعتمدون على التطبيق والمفهوم المشترك بين أصحاب هذه المصطلحات والتسميات ثانياً، يقول أبو سعيد السيرافي بعد أن ذكر حكم إدغام الميم في الباء لأبي عمرو: "فإذا سألت أصحابه عن اللفظ بما ترجموه عنه من إدغام ذلك لم يأتوا بباء مشدّدة. وقد سألت أبا بكر بن مجاهد - رحمه الله - عنه فذكر أنّهم يترجمونه عنه بإدغام أو نحو هذا من اللفظ..."² وقال الداني مشيراً إلى هذا الاضطراب في الاصطلاح: "وترجم الزبيدي وغيره من الرواة والمصنفين عن هذا الميم بالإدغام على سبيل المجاز وطريق الاتّباع لا على الحقيقة؛ إذ كانت لا تقلب مع الباء باء بإجماع من أهل الأداء، وإنما تسقط حركتها تخفيفاً، فتخفى بذلك لا غير، وذلك إخفاء للحرف لا إخفاء للحركة، فأما إدغامها أو قلبها فغير جائز للغة التي فيها إذ كان ذلك بذهيبا فتختلّ لأجله."³

هذه النصوص تثبت هذا الاضطراب، وهو أمر طبيعي عند نشأة المصطلح، لكنهم سرعان ما تعارفوا واتفقوا على تسمية هذا الحكم بإخفاء الميم أو الإخفاء الشفوي، وعرفوه بكونه حالة بين الإظهار والإدغام.⁴

¹ شرح الكتاب، أبو سعيد السيرافي 472\5. شرح المفصل لابن يعيش 550\5. جامع البيان للداني 455\1. الإقناع لابن الباذش ص65. الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ص455. الكثر في القراءات العشر للواسطي 65\1. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش 5247\10... إلخ.

² شرح الكتاب 472\5.

³ جامع البيان 455\1.

4 المحكم في نقط المصحف لأبي عمرو الداني بتحقيق عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط2، 1407هـ ص75. العميد في علم التجويد لمحمد بن علي بسّة المصري بتحقيق محمد الصادق قمحاوي. دار العقيدة، الإسكندرية، 1425هـ 2004م، ص24-29. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري لعبد الفتاح المرصفي، مكتبة طبية، المدينة، ط2، (د.ت)، 183\1. الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، 1423هـ 2002م، ص383. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 21\13. تاج العروس لمرتضى الزبيدي، دار الهداية، (د.ت)، 185\34.

غير أنَّ هذا المصطلح - وبتعريفه - الذي أطلق على حكم الميم أمام الباء أطلق في الوقت ذاته على النون أمام حروف مخصوصة، وأطلق على حكم بعض الحركات كحركة ضم النون¹ في {تَأْمَنَّا} ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ [يوسف: 11]، ورغم اشتراك هذه الأحكام في الاصطلاح والتعريف غير أنَّ مفاهيمها وتطبيقاتها العملية تختلف من حكم لآخر، وقد نبّه كثير من أهل العلم على هذه الحقيقة التي قد تخفى وتلتبس بسبب الاشتراك في الاصطلاح، فنّبّه ابن الباذش إلى مباينة الميم للنون في هذا الحكم حيث قال: "قال لي أبي -رحمه الله-: "المعول عليه إظهار الميم عند الفاء والواو والباء، ولا يتجه إخفاؤها عندهن إلا بأن يزال مخرجها من الشفة، ويبقى مخرجها من الخيشوم، كما فعل ذلك في النون المخففة"². وإنما ذكر سببويه الإخفاء في النون دون الميم، ولا ينبغي أن تحمل على النون في هذا؛ لأن النون هي الداخلة على الميم في البدل في قولهم: شبناء وعنبر، و {صُمُّ بُكْمٌ} فحمل الميم عليها غير متجه؛ لأن للنون تصرفاً ليس للميم، ألا ترى أنها تدغم ويدغم فيها، والميم يدغم فيها ولا تدغم، إلا أن يريد القائلون بالإخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً، فذلك ممكن في الباء وحدها في نحو: أكرم يزيد، فأما في الفاء والواو فغير ممكن فيهما الإخفاء إلا بإزالة مخرج الميم من الشفتين، وقد تقدم امتناع ذلك، فإن أرادوا بالإخفاء أن يكون الإظهار رفيقاً غير عنيف فقد اتفقوا على المعنى، واختلفوا في تسميته إظهاراً أو إخفاءً، ولا تأثير لذلك. وأما الإدغام المحض فلا وجه له."³

ومثل ذلك صنع المالقي حين بيّن حقيقة إخفاء الحركة في نحو (تامنا) واختلافها عن إخفاء الحروف حيث قال: "ومنهم من حمل التعبير بالإدغام على [المسامحة] فيلفظ بعد الميم بنونين على الأصل، يحرك الأولى بضمة خفيفة، وتبقى الثانية على فتحها ويكون ذلك المقدار الذي في النون الأولى من لفظ الضمة مانعاً من حقيقة الإدغام وموجباً للتفكيك إلا

1 التيسير لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 2، 1404هـ 1984م 127. الدر النثري والعذب النمرير شرح التيسير للمالقي تحقيق أحمد عبد الله (رسالة دكتوراه)، دار الفنون، جدة، 1411هـ 1990م 244\4. إبراز المعاني من حرز الأمانى لأبي شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، 532 عند تعرضه لبيت الشاطبي رقم: 773

وتَأْمَنَّا لِلطَّلِّ يُخْفَى مَفْصَلاً.

غيابات في الحرفين بالجمع نافعٌ

2 يشير الشيخ إلى مذهبه في ترجيح إظهار الميم عند الباء وهو اختيار مكي القيسي وصحّحه ابن الجزري غير أنَّ الراجح عند أبي عمرو الداني وابن الجزري وجمهور القراء الإخفاء... انظر: النشر في القراءات العشر، طبعة الضباع، دار الفكر، بيروت، 1\222. وقد استدلل بعض أهل العلم بهذا النص مبتوراً على إطباق الشفتين عند إخفاء الميم، والمفروض إتمام النص لأنّه يشير في آخره إلى صفة الإخفاء المناسبة والصحيحة عند من يقول به. وما ذكره أولاً إنّما هو وجه استدلاله على ترجيح الإظهار.

³ الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش، دار الصحابة للتراث طنطا (د ت) 65. وما يهمن من النص هو تفرقه بين إخفاء النون والميم وتجليته لصفة إخفاء الميم وهي "انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً" و"أن يكون الإظهار رفيقاً غير عنيف".

أنه لما كانت تلك الحركة خفية راجعة إلى باب الروم الذي هو النطق ببعض الحركة ولم تكن متممة حصل بذلك إخفاء النون الأولى فأشبهه الإدغام فسماه إدغاماً بهذا القدر على المجاز [والمسامحة]، وعلى هذا التفسير الثاني يتخرج كلام الحافظ هنا، ويندفع الإشكال، وقد بسط الحافظ المذهبين في (إيجاز البيان) وغيره من كتبه، ورجح مذهب القائلين بالإخفاء كما فعل في التيسير.¹ إذا فالمقصود بالإخفاء - وهو اصطلاح الداني في التيسير - تخفيف الحركة لا غير، وهذا التخفيف هو المقروء به والمعمول به عند المغاربة إلى يومنا هذا.²

خلاصة القول أنّ هذه الأحكام الثلاثة تشترك في الاصطلاح والتعريف وتختلف في المفهوم والتطبيق، لكن اجتهاد بعض القراء المعاصرين انتهى بهم إلى حمل مصطلح إخفاء الميم مفهوم إخفاء النون فقالوا لا بدّ من ذهاب ذاتها وبقاء صفتها، أي أن تظهر صفةً وتندغم مخرجا حتى يتمثل فيها حقّ التمثيل اصطلاح وتعريف الإخفاء الذي هو حالة بين الإدغام والإظهار، فمنعوا تحقق المخرج الذي هو انطباق الشفتين وقالوا بترك فرجة أو فتحة تمنع هذا الانطباق،³ وذلك قياسا على حكم إخفاء النون الذي يقتضي انفصال طرف اللسان وتركه للثة مخرج النون، وإظهار صفة الغنة. وعمد هؤلاء إلى ترك المفهوم والتطبيق المتواتر والمتوارث من قبل أجيال من القراء إلى اجتهاد عُمدته وأساسه نقل مصطلح واعتماد تعريف في غير محله.⁴

5.1 مصطلح القلقلة:

يمكننا بيان مشكل هذا المصطلح في صورتين اثنتين:

أولاهما: التباس المعنى اللغوي بالمفهوم الاصطلاحي.

ثانيهما: استعمال المصطلح في غير ما وضع له أصالة.

القلقلة كما عرّفها علماء العربية والتجويد صوتٌ قويٌّ كالنبرة يتوصل به إلى التلفظ

بأحرف مخصوصة مجموعة في قولنا (قطب جد).

¹ الدر النثير، 4\244-245.

² أنظر: السلكة، للشيخ الدكتور عبد العزيز العيادي الغرّوسي. مطبعة اسبارطيل طنجة، ط. 1، 2014 م ص 208-209.

³ أنظر: إرشاد القراء إلى كيفية الإقلاب والإخفاء للشيخ أبي حاتم أحمد بن حامد آل طعيمة المصري. دار الإمام أحمد بن حنبل مصر (د ت)، ص 17-18، 32، 44... زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين لأبي عبد الرحمن جمال بن إبراهيم القرشي. دار النضياء، طنطا، ط. 2، 1423 هـ 1\162-163.

⁴ إرشاد القراء إلى كيفية الإقلاب والإخفاء ص 58

قال سيبويه إمام العربية: "واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صوتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقة".¹
وقال الإمام مكي في الرعاية: "القلقة ويقال لها اللقلقة، وهي خمسة أحرف يجمعها قولك (جد بطق) وإنما سميت بذلك لظهور صوتٍ يشبه النبرة عند الوقفِ عليهنّ، وإرادة إتمام التّطّيق بهنّ..."²

وقال الحافظ ابن الجزري شيخ القراء وأمير الأداء: "وسُميت هذه الحروف بذلك لأنّها إذا سكنت ضعفت فأشبهت بغيرها فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكوتهن في الوقف وغيره وإلى زيادة إتمام النطق بهن، فذلك الصوت في سكوتهن أبين منه في حركتهن، وهو في الوقف أمكن".³

فهذه ثلاثة نصوص لها وزنها في علم التجويد، تصف جميعها القلقة بكونها صوتاً زائداً يشبه النبرة يتوصل به للنطق بأحرف مخصوصة حالة سكوتهن.

ولمعرفة حقيقة القلقة انطلاقاً من هذه النصوص، نستطيع أن نقول أنّ مادة الحروف العربية عند سماعها والتلفظ بها بعضها أصوات خالصة لانحباس نفسها كحروف الجهر، وبعضها أنفاس خالصة لانحباس صوتها كحروف الشدّة، وبعضها يجمع بين الصوت والنفس كحروف الهمس سوى الكاف والتاء، فهذه الحروف جميعها إنّما استبانة عند التلقّظ بها وسماعها بما فيها من صوت أو نفس أو كليهما. لكن حروف القلقة لا صوت فيها ولا نفس؛ إذ ينحبسان كلاهما في المخرج لقوة الاعتماد عليه، لذا لا يمكننا سماع هذه الأحرف والتلفظ بها إلّا متحركة أي إذا أضفنا لها "صائت"، أمّا الساكنة فلا يمكننا ذلك لانحباس صوتها ونفسها معاً؛ وإنّما مادة الحرف الملفوظ والمسموع صوت ونفس لا غير، ويمكن للواحد ممّا أن يجرب قراءة القاف مشدّداً مجهوراً بغير قلقة وسيلاحظ أنّ الحرف لا يصدر أصلاً نتيجة انحباس صوته ونفسه، ماذا سيتلفظ؟ وما ذا سيُسمع؟ إن لم يكن في الكلام صوتٌ ولا نفسٌ. ولهذا اهتمت العرب لصفة القلقة يتوصل بها إلى التلفظ بهذه الحروف المخصوصة.⁴

¹ الكتاب 4\174.

² الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لابن أبي طالب مكي. دار الصحابة للتراث طنطا، 1422هـ-2002م، ص 41.

³ النشر 1\203. وانظر التمهيد في علم التجويد لابن الجزري، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1422هـ-2002م، ص 34.

⁴ لم تُقلّل الهزمة رغم انحباس صوتها ونفسها كحروف القلقة لأنّ العرب اهتمت لأساليب أخرى أيسر من القلقة لتسهيلها وتخفيفها.

فهذه هي القلقة اصطلاحاً، تعريفاً وتعليلاً... لكن ما الذي حدث لهذا المصطلح حتى يتولد عنه مشكلة ؟

عمد بعض المتأخرين وعلى رأسهم الإمام المرعشي¹ إلى دلالات "القلقة" اللغوية وأفحموها في مفهومها، ربما اعتقاداً منهم بكون العلاقة بين المصطلح ودلالاته اللغوية مقصودة عند الاتفاق والوضع، أو ربما لوجود شبه بين بعض أفراد مفهوم المصطلح وبعض استعمالاته اللغوية.

"كلمة" قلقة أو مقلوبها لقلقة لها في اللغة استعمالات عدة أولها وأشهرها الصوت مطلقاً أو صوتٌ مخصوص بوصف معيّن كالشدّة والقوة أو مضاف إلى شيء كالفتاح أو حيوان كالطير ونحو ذلك²، ومن استعمالاتها الاضطراب³ والسرعة⁴. ومن استعمالاتها كذلك الحركة والتحريك⁵. وهذا المعنى اللغوي الأخير "لكلمة" قلقة هو الذي أقحمه الإمام المرعشي (1150هـ) في مفهوم "مصطلح" القلقة، وسأنقل كلامه كاملاً حتى يتبين لنا كيف انتقل من الدلالة اللغوية إلى الدلالة المصطلحية، وكيف أثر ذلك في مفهوم المصطلح حيث أدخل عليه حكماً لم يكن فيه.

قال الإمام المرعشي عليه رحمة الله: "ومنها القلقة وهي في اللغة: شدّة الصياح كما نقل عن الخليل، ويحيى بمعنى التحريك، قال في الصحاح: قَلَقَلَهُ قَلَقَلَةً وَقَلَقَلًا فَتَقَلَّقَلَ، أي حركه فتحرك واضطرب، وهي في الاصطلاح: ما صرح به أبو شامة نقلاً عن مكي: صوت زائد حدث في المخرج بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك الضغط.

¹ لعلّ أوّل من سلك هذا المسلك من علماء التجويد هو الإمام المرعشي في جهد المقل، حيث أضاف لمفهوم مصطلح القلقة معنى التحريك، كما سيأتي بيانه قريباً، ثمّ تتابع النَّاس بعده تقليداً لهذا المحقق العَلم، أو اتّباعاً لدليله ومنهجه في التعامل مع المصطلح، هذا مع العلم أنّ بعض من تقدمه أشار إلى التحريك ولكن من جهة تشبيه صوت القلقة بالحركة لا من جهة إثباتها واشتراطها ولعل من أبرزهم ابن الحاجب (646هـ) في شرح المفصل وفخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي الشافعي (746هـ) فيما نقل عنه المرعشي نفسه، ومحمد بن محمد بن حجازي زادة الفلقشندي (1035هـ) في شرحه للجزيرة والله أعلم. انظر: أحكام قراءة القرآن الكريم لمحمود خليل الحصري. المكتبة المكية بالاشتراك مع دار البشائر الإسلامية، ط. 2، 1417هـ، ص 99. نهاية القول المفيد ص 81...

² انظر: العين 26\5، الصحاح 1805\5، فقه اللغة وسرّ العربية 152، المحكم والمحيط الأعظم 6\132، لسان العرب 11\567، القاموس المحيط 1\1050، تاج العروس 30\279...

³ انظر: العين 26\5، الصحاح 1805\5، تاج العروس 30\279، لسان العرب 11\567، مجمع بحار الأنوار 4\317، مختار الصحاح 259...

⁴ انظر: الصحاح 5\1804، المحكم والمحيط الأعظم 6\132، لسان العرب 11\567...

⁵ انظر: الصحاح 5\1805، المحكم والمحيط الأعظم 6\132، القاموس المحيط 1\1050، تاج العروس 30\279، لسان العرب 11\566، مجمع بحار الأنوار 4\317، شمس العلوم ودرء كلام العرب من الكلوم 8\5326-5340...

أقول:¹ وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح المخرج بتصويت فحصل تحريك مخرج الحرف وتحريك صوته، أما المخرج فقد تحرك بسبب انفكالكِ دفعي بعد التصاق محكم، وأما الصوت فقد تبدل في السمع وذلك ظاهر، فلك تعريف القلقله بتحريك الصوت أو بتحريك المخرج...²

فانتقال الإمام المرعشي في هذا النص من الدلالة اللغوي وهي قوله: "ويجيء بمعنى التحريك..." إلى إقامة علاقة بينها وبين المفهوم وهي قوله: "وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح الفم..." ثم الخروج بالنتيجة الخطيرة وهي قوله: "فلك تعريف القلقله بتحريك الصوت..." كل ذلك يعتبر إقحاما وتحميلا للمفهوم بما ليس منه انطلاقا من بعض استعمالات ودلالات المصطلح اللغوية؛ وإنما سمينا هذه العملية إقحاما لأن العلاقة بين المصطلح ودلالته اللغوية لا يشترط فيها الاستغراق بل يكفي أن يختار الواضعون الأوائل استعمالا واحداً على أساسه ينقلون اللفظ من "الكَلِمَةِ" إذا صحَّ هذا التعبير إلى "المصطلحية".

وقد لاحظ جماعة من المحققين أنّ أحكام القلقله بعد الإمام المرعشي ومبالغات المقلدين والأتباع قد تغيّرت نظريا بإحداث مسائل وتفريعات جديدة لم يتطرق لها المتقدمون، كتسمية القلقله بالحركة الفرعية ومناقشة طبيعتها هل هي قريبة من الفتح مطلقا؟ أم من الحركة التي قبلها؟ أم من الحركة التي بعدها؟ أم أنّها حركة مستقلة³؟ كما جعلها بعضهم⁴ أربعة مراتب أولها حروف القلقله المتحركة وآخرها الساكنة المشدّدة في الوقف وهو ترتيب مبني على أساس تعريف القلقله بالتحريك. وعمليا انتشرت قراءة القلقله كأنّها فتحة، خاصة في حالة الوقف مبالغة وتكلّفا في تحقيق صفة التحريك.

المشكل الثاني المتعلق بمصطلح القلقله، هو استعماله في غير ما وضع له أصالة وابتداء، وذلك من خلال قياسه على مصطلح آخر هو مصطلح الحروف الانفجارية⁵،

¹ هنا ينتقل الإمام المرعشي من المقدمة اللغوية والاصطلاحية المعروفة والمنقولة إلى النتيجة الاجتهادية الجديدة التي سيخرج بها.

² جهد المقل لمحمد بن أبي بكر المرعشي، دراسة وتحقيق سالم قدوري الحمد. دار صادر عمان. ط.2، 1429هـ 2008م. ص 147-148.

³ انظر على سبيل المثال: الواضح في أحكام التجويد لمحمد عصام مفلح القضاة، دار النفائس، عمان، (د ت)، ص 49.

⁴ انظر أحكام قراءة القرآن الكريم ص 101-102. نهاية القول المفيد في علم التجويد لمحمد مكي نصر. مكتبة الصفا، ط.1، 1420هـ

1999م، ص 81

⁵ وذهب بعض اللسانيين العرب إلى قياس الحروف الانفجارية بحروف الشدّة لا حروف القلقله. انظر: الأصوات اللغوية ص 24... وهذا

القياس لا ينفي المشكل المصطلحي وإنما ينقله من مبحث لآخر فقط.

وتحميله مفاهيم مغايرة متعلقة بظواهر فيزيائية وفيزيولوجية لم تطرأ على بال علماء العربية والتجويد أصلاً، وهي الظاهرة نفسها التي ناقشناها في مشكلة الجهر والهمس¹. ومما نجم عن هذا المشكل اختلافهم في تعيين وتحديد حروف القلقة، فأضافوا لهجاء (قطب جد) حرف الهمزة والتاء والكاف والصاد، وبعضهم حذف الجيم كما اختلفوا في تعريفها وفي تعليلها²، ثم في قراءتها؛ إذ ظهر من القراء من يبالغ في القلقة من أجل تحقيق صفة الانفجار، فبايَنتُ بذلك ما وصفها به الأوائل من كونها "صُوتٌ"³.

6.1 مصطلح الوقف:

وهو نموذج للإشكالات المصطلحية القائمة بسبب عدم مراعاة التطور التاريخي للمصطلح. مصطلح الوقف تطوّر مفهومه وتغير عبر الزمن، فأول ما أطلق إنما قصد به مفهوم التأمل والتفكير في بعض الآيات والاستجابة والتسليم لمقتضاها... وعلى هذا "المعنى" تحمل آثار الصحابة والتابعين كقول عمر رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين: (لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتِي الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا، وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا، وَزَجَرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ. ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رَجُلًا يُؤْتِي أَحَدَهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ، وَلَا زَجَرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْتَرُهُ نَتْرَ الدَّقَلِ)⁴

كما استعمل في مراحل متقدمة في علوم العربية والقراءة والتجويد بمفهوم السكون⁵.

¹ لهذا لن أطيل في بحث هذا المشكل؛ لأنَّ الغاية من هذا المقال ذكر نماذج متعدّدة لمشكل المصطلح بحيث نحاول الإلمام بأنواعها.

² الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس. مكتبة نهضة مصر (د ت) ص25. منهاج البحث في اللغة، تمام حسان مكتبة الأجلو المصرية (د ت) ص141. الأثر الدلالي للأصوات الانفجارية في قصائد ديوان (أنين الصواري) للشاعر علي عبد الله خليفة. جاسم غالي رومي المالكي، مجلة الخليج العربي، مج. 36، ع. 4-3 السنة 2008م من ص 91 إلى ص 119. انظر الصفحات 92-94-95-96...

³ الكتاب 4/174. التحديد في الإنقان والتجويد، أبو عمرو الداني، دراسة وتحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط. 1، 1421هـ. 2000م ص109.

⁴ رواه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. 1، 1415هـ-1494م. 84/4، رقم 1453، والحاكم في "المستدرک" تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1411هـ-1990م، 101/91/1 وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه "ووافقه الذهبي، والبيهقي في "السنن الكبرى" تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 1424هـ-2003م، 5290\170\3. وصححه ابن منده في "الإيمان" تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 2، 1406هـ، 207\369\1. والبيهقي في "مجمع الزوائد" تحقيق حسام الدين القدسي مكتبة القدس، القاهرة، 1414هـ-1994م، 752\165\1.

⁵ النشر في القراءات العشر 1/203.

_____ مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية دراسة في المظاهر والأسباب -علم التجويد نموذجاً وأطلق "بمعنى" التوقف عن القراءة رأساً¹، ثم استقرّ المصطلح على الوقف الذي يقابله الابتداء ويشترط فيه الاستئناف².

إنّ عدم مراعاة هذا التطوّر والتغيّر التاريخي لمصطلح الوقف كان سبباً في وقوع كثير من اللبس في المفاهيم، والاختلاف في الأحكام، والأخطاء والألحان في القراءة وتجويد القرآن. ولعلّ من أبرزها وأهمّها ما يلي:

■ حمل آثار الصحابة على مفهوم الوقف الاختياري الذي يقابله الابتداء³، وهذا خطأ منهجي من جهة تحميل النصوص القديمة دلالات جديدة أحدثت بعد صدور هذه النصوص.

■ اشترط بعض علماء التجويد في القلقلة أن تكون في الوقف خاصة ولم يجوزوها في وسط الكلمة رغم سكون حرفها، قال ابن الجزري رحمه الله: "وَذَهَبَ مُتَأَخِّرُو أَيْمَنَّا إِلَى تَخْصِصِ الْقَلْقَلَةِ بِالْوَقْفِ تَمَسُّكًا بِظَاهِرِ مَا رَأَوْهُ مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ الْقَلْقَلَةَ تَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ بِالْوَقْفِ، فَظَنُّوا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَقْفِ ضِدُّ الْوَصْلِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ سِوَى السُّكُونِ، فَإِنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ يُطْلِقُونَ الْوَقْفَ عَلَى السُّكُونِ، وَقَوَى الشُّبْهَةَ فِي ذَلِكَ كَوْنُ الْقَلْقَلَةِ فِي الْوَقْفِ الْعُرْفِيِّ أَتَيْنَ وَحُسْبَائِهِمْ أَنَّ الْقَلْقَلَةَ حَرَكَةٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ: الْقَلْقَلَةُ شِدَّةُ الصِّيَاحِ، وَاللَّقْلَقَةُ شِدَّةُ الصَّوْتِ."⁴

¹ النشر 1\239.

² الوقف الذي استقرّ عليه الاصطلاح هو "قطع الصوت على الكلمة زمناً يُتَنَفَسُ فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الأي وأواسطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً." النشر في القراءات العشر 1\240. التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص78. الوقف والابتداء وأثره في الترجيح عند الحنفية، عزت شحاتة كرار محمد. مؤسسة المختار، القاهرة، 1424هـ- 2003م، ص16. تيسير ترتيل القرآن لأحمد الطويل، 2\904.

³ تجد هذا عند جلّ الذين كتبوا في مسائل الوقف والابتداء، انظر: المكتفى في الوقف والابتداء، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (444هـ) تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، عمان، 1422هـ- 2001م، ص4. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري (1100هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، 2008م 1\13. فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات، عبد الله علي الميموني، دار القاسم، الرياض، 1424هـ- 2003م، ص12-13. الوقف والابتداء وأثره في الترجيح عند الحنفية، ص16. تيسير ترتيل القرآن لأحمد الطويل 2\904-907. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (1409هـ)، مكتبة طيبة، المدينة، ط2، (د ت)، 1\365-366.

⁴ النشر 1\203-204.

■ الخلط واللبس الواقع بين منع الوقف ومنع القطع على بعض رؤوس آي المتعلقة بما بعدها، ولعل أحسن مثال على ذلك الوقف على قوله تعالى (تتفكرون) جون (في الدنيا والآخرة)، قال عز وجل: ﴿ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَلْمِزُ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِي أَخْوَالِكُمْ فَاعْوِذُوا بِاللَّهِ يَعْلَمُ الْمُنْفَسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكَرَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة 219-220] وأشهر من ذلك الوقف على قوله تعالى: (للمصلين) دون (الذين هم...) قال عز من قائل: ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ ﴿٣﴾ ﴾ [الماعون: 4,5,6]، فقد اشتهر منع مثل هذا الوقف رغم وقوعه رأس آية، وقد صح - في مقابل ذلك - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتماد الوقف على رؤوس الآي، فجمع بعضهم بين الأمرين بتخصيص هذا النوع من الوقف من عموم سنية الوقف على رؤوس الآي وقالوا بمنعه وعدم جوازه¹، وجمع آخرون بالوقف على رأس الآي ثم الاستئناف بوصلها بما بعدها². وجمع آخرون بين هذه النصوص من خلال نظرة مصطلحية تميز بين مفهومين لمصطلح الوقف: مفهوم القطع والإعراض عن القراءة لغيرها وبين مفهوم التوقف مدة لا تتجاوز زمن التنفس ثم تستأنف القراءة بعدها، فحملوا نصوص المنع على المفهوم الأول والذي استقر أهل هذه الصناعة والتخصص على تسميته بالقطع، وحملوا نصوص الجواز على الوقف بمفهومه الذي انتهى إليه علم التجويد³.

¹ النشر 1\229-2\204، التمهيد في علم التجويد 85، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (911هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م، 1\292، جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي (643هـ)، تحقيق مروان عطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، ط.1، 1418هـ 1997م، 678-686، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، علي النوري الصفافسي (1118هـ)، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، (د ت) ص137.

² العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّ (1367هـ) تحقيق محمد الصادق قمحاوي دار العقيدة الإسكندرية، 1425هـ- 2004م ص155، غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، القاهرة، ط.7، (د ب)، ص231.

³ تنذيل المارغني على رسالة تحرير الكلام على وقف حمزة وهشام لابن بالوشه طبع في آخر كتاب: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، إبراهيم المارغني، دار الفكر، بيروت، ص1415هـ 1995م-، ص256...258، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (1409هـ) مكتبة طيبة، المدينة، ط.2، (د ت) 1\387-388، معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط.1، 1422هـ- 2001م، ص224-225، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع العنزي، مركز البحوث الإسلامية ليدز- بريطانيا، ط.1، 1422هـ 2001م، ص451، الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد، دار الإيمان، القاهرة، (د ت) ص209.

■ علامة الوقف (لا) في المصاحف الشرقية، - في مواضع كثيرة منها - رغم أنّ دلالتها المشهورة هي منع الوقف والابتداء، أو منع الابتداء دون الوقف، غير أنّ بعض المحققين من المتأخرين يرون أنّه إنّما عنوا بهذه العلامة في بعض مواضعها القطع أي التوقف عن القراءة رأساً والإعراض عنها، فالخلاف بين الفريقين خلاف مصطلحي بامتياز نجم عنه اختلاف عملي إذ يرى الفريق الثاني جواز الوقف على مثل هذه المواضع وإنما الممنوع هو القطع، بينما يرى الفريق الأول منع الوقف والقطع سواء.¹

7.1 مصطلح القلب والإقلاب² :

وهو نموذج للاختلاف في صياغة المصطلح؛ إذ من شروط عملية صياغة المصطلح أن تتم وفق قواعد اللغة لا تخالفها ولا تخرج عنها، لكن انتشر في كتب علم التجويد - خاصة المعاصرة منها - اصطلاح الإقلاب وهي صياغة خاطئة؛ لأنّ الفعل الثلاثي (قَلَبَ) مصدره (قَلْبٌ) لا (إِقْلَابٌ) وهكذا الأفعال الثلاثية القياسية، بخلاف الفعل الرباعي (أَفْعَلَ) يصاغ على وزن (إِفْعَال) كأظهر إظهاراً وأدغم إدغاماً وأخفى إخفاءً.

وقد نبّه على هذا الخطأ جماعة من علماء القراءة والتجويد.³

فهذه نماذج أردتُ من خلالها الوقوف على سعة مشكلة المصطلح في علم التجويد وتنوعه وأثره على أحكام تلاوة القرآن الكريم، وكيف أنّ المصطلح وهو في الأصل مشكل نظري يمكنه أن يغيّر سلبيات أصوات القرآن الكريم...

¹ انظر معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي. دار القلم، بيروت، 1422هـ - 2001م، ص225.

² هذا النموذج من الإشكالات المصطلحية يختلف عن النماذج المتقدمة في كونه نظري غير متعلق بالأحكام العملية لتلاوة القرآن الكريم...

³ انظر: المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري. المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1324هـ، ص72. القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع، محمد بن إبراهيم الشريشي، تحقيق التلميذي محمد محمود دار الفنون، جدة، ط1، 1413هـ - 1993م، ص230. النجوم الطوالع، ص84، أحكام قراءة القرآن الكريم للحصري، ص179...

2. أسباب مشكلة المصطلح في علم التجويد:

أسباب مشكلة المصطلح في علم التجويد كثيرة ومتنوعة، وحتى يمكننا الوقوف على أكثرها ودراستها سنصنفها صنفين، الأول منهما عام لا يختص بعلم التجويد بل هو من أسباب المشكلات المصطلحية عامة، والثاني خاص بعلم التجويد.

1.2 الأسباب العامة:

■ عدم مراعاة التطور التاريخي للمصطلحات.

إنَّ تطوّر المصطلحات ظاهرة طبيعية وصحية، انطلاقاً من منهج وضع المصطلحات القائم على التواضع الذي يقتضي الاجتهاد وبالتالي الاختلاف، كما أنَّه تطوّر متضمّن في تطوّر العلوم ذاتها، فالعلم، كلّ علم لا يزال يتوسع ويتعمّق في دراسة الظواهر إلى أن تتفرّع عنه علوم أخرى تتخصص في دقائق موضوعاته، أو تختلف عنه في منهجه وطريقة تناول مسأله... فتتطوّر نتيجة لذلك المصطلحات بتغيرها أو تغير مفاهيمها ودلالاتها... وعدم مراعاة هذا التطوّر التاريخي للمصطلحات هو أحد أهمّ أسباب المشكلات المصطلحية في مختلف العلوم والفنون؛ فقد يُستعمل المصطلح القديم للدلالة على مفهومه الجديد، أو قد يستعمل المفهوم القديم للدلالة على المصطلح الجديد، أو قد يحمل مصطلح علم قديم على مفهوم مصطلح على آخر متفرّع عنه... وهكذا تتنوع المشاكل المصطلحية الناتجة عن عدم مراعاة التطور التاريخي للمصطلحات.

وفي النماذج التي ذكرناها كمصطلح التجويد، ومصطلح الوقف خير مثال على هذه الظاهرة.

■ الخلط بين مفهوم المصطلح وبين دلالاته ومعانيه اللغوية.

إنَّ المصطلح قبل أن يُعتمد، وقبل أن يتواضع ويتفق عليه أهل الاختصاص يكون عبارة عن كلمة لها دلالاتها واستعمالاتها اللغوية المتعددة والمتنوعة، ونتيجة علاقة مطابقة أو مشابهة بين بعض هذه الاستعمالات اللغوية والمفهوم المصطلحي تُعتمد هذه الكلمة ويُنتقل بها إلى مصاف المصطلحات، وحينها تُلغى في التخصص دلالاتها اللغوية المختلفة ونلغى معانيها ككلمة، ولا نعتد إلاّ مفهومها المصطلحي.

_____ مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية دراسة في المظاهر والأسباب -علم التجويد نموذجا
وعدم مراعاة هذا الانتقال باللفظ من كونه كلمة لها معانيها اللغوية إلى كونه
مصطلح له مفهومه في حقل معرفي خاص، يؤدي بالضرورة إلى مشاكل مصطلحية تتجلى في
تحميل المصطلحات دلالات لا يريدها واضعوها أو تتسبب في استعمال مصطلحات بمفاهيم
مختلفة عن مفاهيمها الأصلية...

■ الترجمة ومشكلة المصطلحات الدخيلة.

أعتقد أنّ للترجمة في المشكلات المصطلحية دورا محوريا ومهمًا، يمكن تجليته في ثلاث صوّر:
الصورة الأولى صعوبة إن لم نقل استحالة الترجمة الدقيقة من لغة إلى أخرى؛
قديمًا كانت تُعرّف اللغة بكونها وسيلة تواصل، أو أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم.¹
لكن الدراسات الحديثة بدأت تكتشف أنّ اللغة أجل وأعظم من ذلك فهي عنصر من
عناصر هوية الأمة وهي صورة تعكس ثقافتها، ولهذا السبب تصعب ترجمة المعاني والأفكار
وترجمة الفنون والأشعار من لغة إلى أخرى؛ لأنّها محاولة نقل ثقافة أمة بلغة أمة أخرى
تتميّز عنها وتختلف على مستوى هويّتها وثقافتها...لهذا نجد كثيرا من المصطلحات الأجنبية
التي حاول بعض اللسانيين العرب نقلها لعلم التجويد لا تؤدّي في العربية مفهومها الحقيقي
الذي تؤدّيه في لغتها الأصلية، والكلام نفسه يقال عن مصطلحات التجويد العربية التي
حاولوا نقلها إلى لغات أخرى من خلال تحميلها مفاهيمها كالقلقلة والجهر والهمس مثلا.

الصورة الثانية الصراع الحضاري والثقافي على مستوى المصطلحات والمفاهيم
يجعلنا، نتوجس منها خيفة، فلا ينبغي الإقدام على مثل هذه المصطلحات والتساهل في
تبنيها إلاّ بعد دراستها والتأكّد من صلاحيتها وعدم تعارضها مع خصائص الأمة العقديّة
ومقوماتها الحضارية وهويّتها الثقافية، وإنّ في بعض مصطلحات اللسانيين العرب
ومفاهيمهم المترجمة ما يؤثر سلبا على أمة الإسلام كنعو تطوّر الأصوات العربية، وفقدان
بعضها، وتأثير بعض الأصوات في بعض ممّا لم ينص عليه الأوائل، والاستدلال بالأصوات
العربية المعاصرة لإثبات ظواهر صوتية متعلقة بالقرآن الكريم...وكّل هذا يؤثر سلبا في هوية
أمة الإسلام.

الصورة الثالثة الترجمة متعلقة بأصوات غريبة عن أصوات القرآن الكريم؛ فكلّ
لغة تتميز عن غيرها من اللغات من حيث صوامتها وصوائتها، فلا يمكننا الاعتماد على
دراسات صوتية أجنبية وتبنيها هكذا دون تثبت وروية...

¹ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ). الهيئة المصرية العامة، للكتاب، ط. 4، (د ت) 1/34.

وقد تبين لنا في نموذج الجهر والهمس، ونموذج القلقلة، كيف أنّ الترجمة قد أخذت بحقيقة الأصوات العربية، وحاولت تغيير طبيعة بعضها، وأنّها لم تنقل المفهوم الحقيقي لهذه المصطلحات في لغتها الأصلية بل اختار المترجم - باجتهاده الخاص - من مفهوما ما يتماشى مع رأيه ومذهبه من توافق الأصوات أو تطوّرها...

■ تحميل المصطلحات القديمة مفاهيم مستحدثة.

إنّ تطوّر العلوم وتلاقحها قد أنتج مفاهيم جديدة تحتاج إلى مصطلحات تثيرها وتعريفات تضبطها، وفي العلوم الإسلامية عامة وعلم التجويد خاصة يجنح أصحابها إلى تضمين وتحميل هذه المفاهيم المصطلحات القديمة ويتجنبون بناء المصطلحات الجديدة؛ فينتج عن هذه العملية مشكلة مصطلحية في غاية الخطورة تبدأ بتحويل المصطلح من مفهومه الأصلي إلى مفهوم جديد مغاير، وتنتهي بتغيير الحكم العملي الذي يتناوله المصطلح... ولعلّ مصطلح القلقلة من أفضل الأمثلة والنماذج لهذا السبب.

■ التداخل بين مختلف الحقول المعرفية.

إنّ من أهمّ قواعد المصطلح حصر مفهومه في حقله المعرفي، فإذا انتقل إلى حقل آخر فينبغي أن ينتقل بمفهوم مغاير يتماشى والحقل المعرفي الجديد، والخطأ كلّ الخطأ نقل المصطلحات من حقل معرفي إلى حقل آخر بالمفهوم ذاته. وهذا الذي وقع في نموذج مصطلح القصر والإخفاء حيث تسبب هذا الوضع في مشكل مصطلحي وفي تغيير أحكام متعلقة بكلام الله تعالى.

■ الإخلال بقواعد وضوابط الدراسات المصطلحية.

إضافة إلى القواعد التي تقدمت الإشارة إلى بعضها، أضيف ها هنا أنّه لا ينبغي للمصطلح أن يكون له عدّة مفاهيم في حقل معرفي واحد فيقع الخلط واللبس بين هذه المفاهيم، كما حدث مع مصطلحي الوقف والقصر.

صياغة المصطلح العربي لا ينبغي أن يخاف قواعد اللغة العربية، كما حدث مع مصطلح القلب الذي تحوّل خطأ إلى الإقلاب.

لا ينبغي بحال من الأحوال أن يسبق المصطلح المفهوم، أي أن نأخذ مصطلحا متداولاً قديماً أو مترجماً حديثاً، ثم نحمله مفهوماً يتصوره ويعتقده الدارس للمصطلح، سواء كان هذا المفهوم جديداً ومستحدثاً كما وقع مع مصطلحي الجهر والهمس، أو قديماً كما وقع مع مصطلح آليات التصويت الذي حمل مفهوم مخارج الحروف¹، فالمفاهيم ينبغي أن تتقدم على المصطلحات وتسبقها.

2.2 الأسباب الخاصة:

■ علم التجويد هو آخر العلوم الشرعية نشأة وتدويناً، فقد بدأت المحاولة الأولى للاستقلال به على يد أبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي المتوفى سنة 325هـ بقصيدة حسن الأداء المعروفة بالخابانية، وتمت هذه النشأة واكتملت على يد مكي بن أبي طالب المتوفى سنة 437هـ بكتابه الرعاية، فالتجويد هو أحدث العلوم الشرعية وأصغرها من حيث بدايته وتاريخ نشأته، فلا عجب أن تكون مصطلحاته لم تضبط وتحدد كضبط وتحديد مصطلحات غيره من العلوم.

■ الاهتمام بالجانب التطبيقي للعلم دون جانبه النظري، يمكننا تحديد غاية علم التجويد في أمرين اثنين؛ أولهما الحفاظ على صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم المتواترة والمتوارثة في حلق الإقراء، ثانيهما الارتقاء بقراءة عموم المسلمين إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يتم ذلك بحلق الإقراء كذلك، وهذا ما جعل علماء التجويد يكادون يحصرّون اجتهاداتهم في هذه الحلق العملية ويبتعدون عن الجانب النظري للعلم التجويد، والمصطلحات إنما تضبط ألفاظها وتحدد مفاهيمها بالمناقشة والبحث والتنظير...

¹ مصطلح مخارج الحروف أخص من مصطلح آليات التصويت، لأن مخارج الحروف هي الآليات التي يتم فيها بناء شخصية الحرف التي تميزه عن غيره. أمّا الآليات والأعضاء التي تشارك في إحداث الصوت كالأحبال الصوتية والهواء الصادر عن الرئتين ولكنها لا تشارك في تمييز هذا الصوت وإعطائه شخصية الخاصة به، فإنها عند علماء العربية والتجويد لا تندرج في مخارج الحروف... وإنما درسها علماء الإسلام في غير علمي العربية والتجويد كما فعل الحكيم ابن سينا في كتابه (إحداث الحروف)، في تخصص الطب والتشريح.

■ التداخل الكبير بين علم التجويد وبين علم القراءات وما يتعلق به من رسم وضبط وعِدِّ ووقف... خاصة وأنَّ علماء التجويد هم أنفسهم علماء هذه التخصصات؛ فتميّز المصطلحات وتغيير لغة العلم من تخصص لآخر يصعب إذا كان المشتغل بهما واحدا. كما أنَّ اهتمام علماء القراءات بحقوق الحروف دون مستحقّاتها¹ بعكس علماء التجويد الذين يهتمون بالحق والمستحق، جعلهم يستعملون المصطلحات ذاتها ولكن بمفاهيم أخصّ فالمدّ في القراءة هو الزيادة وفي التجويد هو ما في الحرف من أصل المطّ والزيادة عليه، والكلام نفسه يقال عن اللين والغنة والقلقة... فهذا الاستعمال المزدوج للمصطلحات ذاتها ومن قبل المستعملين ذاتهم عمّق مشكل المصطلح في العلمين كليهما، التجويد والقراءات.

■ أثر علماء العربية ودورهم في تعميق مشكلة المصطلح، لأنّ العلوم العربية تعتبر من أهمّ مصادر علم التجويد، بل هي حاضنته التي نشأ فيها وترعرع؛ فقد كان لمصطلحاتها دور كبير في تعميق وتكريس مشكلة المصطلح من حيث تبني علماء التجويد مصطلحات علوم العربية رغم تميّز وتباين مفاهيمها، ولعلّ من أمثلة المصطلحات التي تبناها الفريقان وهي مختلفة من حيث المفهوم: الروم، الاختلاس، الإشمام، التسهيل... بل أحيانا ينقل علماء التجويد مصطلحات ومفاهيم علوم العربية دون أن يكون لها في علم التجويد دور أو تأثير كصفتي الإصمات والإذلاق،² والعلة³، والزوائد⁴...

■ ترك علم التجويد وعدم التخصص والتعمق في مسأله من طرف أكثر أهل العلم⁵، حيث يتحولون إلى غيره من الفنون والعلوم؛ وإنّما يضبط مصطلحات العلوم ويتقنها المتخصصون فيها والمتفرغون لها.

■ اعتبار علم التجويد علما بسيطا يشتغل به الطلبة المبتدؤون؛ لهذا السبب لا يهتمّ به فطاحلة العلماء وجهابذتهم، ولهذا السبب كذلك يشتغل بتدريسه والتأليف فيه كلّ من هبّ ودبّ... فلا بدّ والأمر كذلك أن تظهر في مصطلحات المشتغلين به مثل هذه التداخلات والتناقضات.

¹ حقّ الحرف في علم التجويد هو ما يلزمه من الصفات ومستحقّه ما يعرض له في حال دون حال. انظر: فن الترتيل وعلومه، ص. 593-641.

² انظر: أحكام قراءة القرآن ص. 97. النجوم الطوالع ص. 170.

³ الرعاية ص. 43.

⁴ الرعاية ص. 39.

⁵ انظر غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين ابن الجزري، بعناية ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 1402 هـ.

1982 م، الترجمات رقم: 3260، 2314، 789، 564، 724، 475، 375، 142، 138...

الخاتمة:

وقد خصّصنا خاتمة هذا المقال للحديث عن سبل علاج مشكلة المصطلح في علم التجويد، فقد تفتّح لهذا المشكل كثير من أهل التخصص وحاولوا علاجه كلّ بحسب اجتهاده ونظرتة لمظاهرها وأسبابها، فعَمَد بعضهم إلى التقليل من خطورة المشكلة وحاول الجمع بين هذه المتناقضات من خلال التقريب بينها أو نفي التعارض... وغيرها من الأساليب التي على ما فيها من التكلّف لم تستطع استيعاب مظاهر المشكلة، وبقي أكثرها - على مذهبيهم - دون تفسير أو تأويل¹. بينما رأى آخرون في العمل المعجمي سبيلاً لحلّ المشكلة من خلال استقراء وتتبع مصطلحات التجويد في مصادرها ثمّ ترتيبها وتعريفها²، وعيب هذه الطريقة أنّ أكثر هذه المعاجم لم تستوعب مصطلحات علم التجويد وأنّها تكتفي بنقل المصطلحات وتعريفاتها دون مناقشتها، ودون الوقوف على كثير من اختلافاتها؛ ما يجعل من هذا النوع من العمل وصفاً للمشكلة المصطلحية في علم التجويد وليس حلاً لها.

¹ من ذلك محاولة الأستاذ أحمد الطويل تفسير مشكلة تسمية علم التجويد بالترتيل، انظر: فنّ الترتيل ص130. ومحاولة إبراهيم أنيس التقريب بين مصطلحي الجهر والهمس عند علماء التجويد وبين مفهومهما عند اللسانيين من خلال التسوية بين اهتزاز الأوتار الصوتية وما سماه المتقدمون بصوت الصدر (الأصوات اللغوية 123-124)، ومحاولة كثير من قراء مصر الدفاع عن مصطلح الإقلاب، ومفهومي الإخفاء الشفوي، والقصر في اللين ...

² من أشهر هذه المعاجم:

- التجريد لمعجم مصطلحات التجويد، إبراهيم بن سعيد الدوسري. دار الحضارة، ط.1، 1429هـ 2008م. من نقائص هذا المعجم: عدم استيعابه لمصطلحات التجويد (إخفاء الحركة، الإشمام بمفومي الحركة المركبة والحرف المركب...) استعمل منهجاً خاصاً في تقديم المصطلحات والمفاهيم وترجيح بعضها على بعض هو الشهرة وكثرة الاستعمال متجاوزاً بذلك الأثر التاريخي واختلاف الحقل المعرفي في هذا التعدد والتنوع المصطلحي....
- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءة، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري. دار الحضارة للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية. ط.1، 1429 هـ - 2008 م. هو الكتاب المتقدم نفسه غير أنّ صاحبه أضاف له مصطلحات أخرى متعلقة بعلم القراءة.
- معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي. دار القلم، دمشق، ط.1، 1422 هـ - 2001 م. وهو معجم يفتقد لأبسط القواعد المنهجية في البحوث العلمية كتوثيق المعلومات؛ فهو يورد التعريفات والنصوص تبعاً دون ذكر مصادرها ...
- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، ا.د. عبد العلي المسنول. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط.1، 1428هـ - 2007م. وهذا الأخير هو أفضل هذه المعاجم من جهة تفتّح صاحبه لمشكلة المصطلح فقَدّم لكتابه بمدخل أبرز فيه مظاهر المشكلة وشيئاً من أسبابها، وقد حاول تتبع مختلف مفاهيم المصطلح واستعمالاته مناقشاً هذه الاستعمالات ومفصّلاً لمواطنها وأبوابها ومبيّناً لمظاهرها في مصادر علم التجويد... غير أنّه - بحكم فردية وبشرية هذا العمل - يسجل عليه عدم استيعاب جميع مصطلحات علم التجويد، وكونه ترك تحليل ومناقشة بعض هذه المصطلحات (التسوية بين مفهومي الابتداء بعد الوقف وبعد القطع رغم اختلاف أحكامهما، ترك مناقشة الاختلاف بين الاختلاس والإخفاء، وكذا بين القصر والاختلاس في باب هاء الضمير، ترك ذكر المفهوم المغربي للعشر الصغرى.... إلخ)

وما أقترحه وأقدمه كمحاولة لحلّ وعلاج هذه المشكلة ينبغي على ثلاثة ضوابط:

الأول: العمل الجماعي:

إنّ مشكلة المصطلح في علم التجويد أوسع وأعمق من أن يعالجها باحث واحد أو اثنين، بل لا بدّ من عمل جماعي مؤسّساتي تشترك فيه جهود الباحثين بطريقة تخصصية بحيث يتناول كلّ باحث جانبا من المشكلة، أو بطريقة تراكمية تكاملية بحيث يضيف كلّ باحث ويكمّل جهود من سبقه من الباحثين والدارسين للمشكلة ذاتها.

الثاني: العمل المنهجي الموحد:

لكي يثمر هذا العمل الجماعي فيؤدي مقصده، ويحصّل مطلبه، ينبغي أن يكون عملا منهجيا موحدًا، مبنيًا على نظرة عميقة للمشكلة المصطلحية من جهة ولحلّها وعلاجها من جهة أخرى. فلا بدّ من تخطيط وتنظيم لمجموع هذه الأعمال حتى نجتنب التكرار الممل والتناقض المخل...

الثالث: تناول المشكلة بأفرادها لا بمجموعها:

إنّ مشكلة المصطلح في علم التجويد أكبر من أن تُتناول دفعة واحدة، بل لا بدّ من عملية تحليلية لمجموع مصطلحات التجويد ثمّ يتمّ دراستها بأفرادها، إمّا مصطلحا مصطلحا، أو دراستها خلال مرحلة محدّدة، أو عند علمٍ من أعلام هذه الصناعة، أو في مصدر من مصادرها، أو عند مدرسة من مدارسها.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، (د ت).
2. إبراهيم بن سعيد الدوسري، التجريد لمعجم مصطلحات التجويد، دار الحضارة، ط.1، 1429 هـ- 2008 م.
3. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية. ط.1، 1429 هـ - 2008 م.
4. إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط.1، 1422 هـ- 2001 م.
5. ابن أبي طالب مكي (437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، دار الصحابة للتراث، طنطا- مصر، ط.1، 1422 هـ- 2002 م..
6. ابن الباذ، الإقناع في القراءات السبع، دار الصحابة للتراث، طنطا- مصر، (د ت).
7. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، طبعة الضباع، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د ت).
8. ابن منده، الإيمان، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط.2، 1406 هـ
9. ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3، 1414 هـ
10. ابن يالوشه، تحرير الكلام على وقف حمزة وهشام، طبع في آخر كتاب: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، إبراهيم المارغني، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1415 هـ- 1995 م.
11. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.1، 1421 هـ - 2000 م.
12. أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.4، (د ت)
13. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ)، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط.1، 1421 هـ- 2000 م.
14. أبو الفرج محمد بن النديم (438هـ)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان. دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط.2، 1417 هـ- 1997 م.
15. بو حاتم أحمد بن حامد آل طعيمة المصري، إرشاد القراء إلى كيفية الإقلاب والإخفاء، دار الإمام أحمد بن حنبل، مصر، (د ت).
16. أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (368 هـ)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدي، علي سيد علي. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.1، 2008 م.
17. أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د ت)
18. أبو عبد الرحمن جمال بن إبراهيم القِرش، زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين، دار الضياء، طنطا، ط.2، 1423 هـ
19. أبو عمرو الداني (444هـ)، المكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، عمان، 1422 هـ- 2001 م.
20. أبو عمرو الداني (444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة – الإمارات. ط.1، 1428 هـ - 2007 م.
21. أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصحف، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط.2، 1407 هـ
22. أبو عمرو الداني، التحديد في إتقان والتجويد، دراسة وتحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط.1، 1421 هـ- 2000 م.
23. أبو عمرو الداني، التيسير، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط.2، 1404 هـ- 1984 م.
24. أبو محمد عبد الكريم مقيدش، مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق، مكتبة القراء، قسنطينة، 2008 م.

25. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط.4، 1407هـ-1987م.
26. أحمد بن أحمد الطويل، فنّ الترتيل وعلومه، مجمع الملك فهد بلاشتراك مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ط.1، الرياض، 1420هـ-1999م.
27. أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري (1100هـ)، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة-مصر، 2008م.
28. أحمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين. (د ب).
29. البهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.3، 1424هـ-2003م.
30. تمام حسان، منهاج البحث في اللغة، مكتبة الأجلو المصرية، (د ت).
31. جلال الدين السيوطي (911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.
31. جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفُتْنِي الكجراتي (986هـ)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التزئيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط.3، 1387 هـ-1967م.
32. الحاكم النيسابوري، المستدرک، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1411هـ-1990م.
33. خالد الشويحي، التبيان في التجويد من طريقي الشاطبية والطبعية، دار الصحابة، طنطا-مصر، (د ت)
34. الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (170هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ت)
35. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين ط.15، - أيار / مايو 2002 م.
36. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط.5، 1420هـ/1999م
37. سيويه (180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط.3، 1408هـ-1988م.
38. الشاهد البوشيخي، نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، أنفو برانت، فاس، (د ت).
39. الشيخ أبو الخير، حفص الكبير المستوى الرفيع في التجويد، دار الصحابة، طنطا، (د ت)
40. الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1415هـ-1494م.
41. عاشور خضراوي، أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرقي، مكتبة الرضوان، مصر، 2005م.
42. عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري، المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1324هـ.
43. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط.1998.
44. عبد العزيز العيادي العُزُوسي، السلكة، مطبعة اسبارطيل، طنجة-المغرب، ط.1، 2014م
45. عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط.1، 1428هـ-2007م.
46. عبد الفتاح المرصفي (1409هـ)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طبية، المدينة، ط.2، (د ت).
47. عبد الله إبراهيم الصباغ، فنّ الترتيل وأحكام التجويد، القاهرة-مصر، 1960م. (د ب).

_____ مشكلة المصطلح في العلوم الإسلامية دراسة في المظاهر والأسباب -علم التجويد نموذجاً

48. عبد الله بن يوسف الجديع العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية، ليدز -بريطانيا، ط.1، 1422هـ-2001م.
49. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات، دار القاسم، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م.
50. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي. إحياء التراث العربي، ط.1، 1422هـ-2002م.
51. عزت شحاتة كرار محمد، الوقف والابتداء وأثره في الترجيح عند الحنفية، مؤسسة المختار، القاهرة-مصر، 1424هـ-2003م.
52. عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، مكتبة التراث، القاهرة-مصر، ط.7، (د ت).
53. علم الدين السخاوي (643هـ)، جمال القراءة وكمال الإقراء، تحقيق مروان عطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق-سوريا، ط.1، 1418هـ-1997م..
54. علي النوري الصفاقسي (1118هـ)، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، (د ت).
55. علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإنشيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (669هـ)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، ط.1، 1996م.
56. فريال زكريا العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، دار الإيمان، القاهرة-مصر، (د ت)، ص209.
57. فتحي أحمد الخولي، قواعد الترتيل الميسرة، دار الطباعة الحديثة، 1987م.
58. المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس (285هـ)، المختضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب، بيروت-لبنان، (د ت)
59. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط.8، 1426 هـ -2005م.
60. مجموعة من الأساتذة، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، 1423هـ-2002م.
61. محمد ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، بعناية ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.3، 1402هـ-1982م.
62. محمد التنوخي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيات)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1414هـ-1993م
63. محمد بن إبراهيم الشريشي، القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع، تحقيق التلميذي محمد محمود، دار الفنون، جدة-المملكة العربية السعودية، ط.1، 1413هـ-1993م.
64. محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق سالم قدوري الحمد، دار صادر، عمان-الأردن، ط.2، 1429هـ-2008م.
65. محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (387هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، ط.2. 1989م.
66. محمد بن الجزري (833هـ)، التمهيد في علم التجويد، دار الصحابة للتراث، طنطا-مصر، ط.1، 1422هـ-2002م.
67. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية، (د ت)

68. محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (778هـ)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق علي محمد فاخر وآخرون. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة-مصر، ط1، 1428هـ.
69. محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، مكتبة الصفا، ط1، 1420هـ-1999م.
70. محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، المكتبة المكية بالاشتراك مع دار البشائر الإسلامية، ط2، 1417هـ.
71. محمود علي بسّة، العميد في علم التجويد، بتعليق وتحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، مصر، 1425هـ-2004م.
71. نجم الدين أبو محمد الواسطي (741هـ)، الكنز في القراءات العشر، تحقيق خالد المشهداني. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ط1، 1425هـ-2004م.
72. نشوان بن سعيد الحميري اليميني (573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1420هـ-1999م.
73. الهيثمي، مجمع الزوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدس، القاهرة-مصر، 1414هـ-1994م.
74. يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

المقالات:

1. جاسم غالي رومي المالكي، الأثر الدلالي للأصوات الانفجارية في قصائد ديوان (أنين الصواري) للشاعر علي عبد الله خليفة، مجلة الخليج العربي، مج. 36، ع. 3-4، السنة 2008م من ص 91 إلى ص 119.
2. محمد مصباح الدريني، بحث في التفسير وعلوم القرآن، Al-Madinah Readings Science | مجلة جامعة المدينة العالمية لعلم القراءات، مصر، مج. 1، ع. 23.
3. الطيب رحمان، الدراسة المصطلحية لدى الشاهد البوشيخي: المفهوم والمنهج، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مج. 4، ع. 2، السنة 2013م من الصفحة 186 إلى الصفحة 196.
4. خالد بسندي، قراءة في الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين، مجلة الدراسات العليا، كلية دار العلوم، مصر، ع. 10، يونيو 2004م، ص 297-325.
5. غانم قدوري الحمد، تحقيق نظم أبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى البغدادي الخاقاني (325هـ)، نشر ضمن بحث (علم التجويد نشأته ومعالجه الأولى) في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، ع. 6، 1400هـ-1980م.

الرسائل الجامعية:

1. المالقي، الدر النثير والعذب النمير شرح التيسير، تحقيق أحمد عبد الله (رسالة دكتوراه)، دار الفنون، جدة 1411هـ-1990م.